المحاضرة الأولى علم الاجتماع الحضري

(مفهومه ومجالاته)

مقدمة أو مدخل

•يرى كثير من الباحثين والعلماء أن القرن الماضي هو عقد التحضرالسريع ، وهذا التصور ينطوي على كثير من الصدق ، فعلى الرغم من أن الدول الصناعية الغربية قد شهدت تحضراً مرتفعاً مع مطلع القرن التاسع عشر إلا أن هذا التحضر قد تعاظم خلال القرن العشرين.

•ثم واصل تعاظمه بعد الحرب العالمية الثانية حينما حصلت معظم الدول النامية على استقلالها السياسي، وبدأت تشهد

انفجاراً حضرياً ، وبطبيعة الحال فإن هذا الانفجار الحضري يستدعيه بالضرورة كمية من المطالب والاحتياجات الطبيعية والمادية والمتغيرات في كثير من المجالات كالإسكان والتشييد والطرق والمواصلات والخدمات المختلفة.

•وإذا كنا بصدد دراسة الحياة الاجتماعية في تلك المناطق الحضرية الكبرى ، فبالتالي فنحن في حاجة إلى تكثيف الاهتمام بدراسة المشكلات الاجتماعية الحضرية في المستقبل.

•وبالتالي فإن الدراسات الحضرية – كما يقول رايسمان -ذات أهمية أساسية لعلم الاجتماع نفسه، ذلك أن دراسة عملية

التحضر يمكن أن تخدم دراسة التغير في أي مجتمع من المجتمعات.

•هذا إلى جانب أن دراسة البناء والتنظيم الاجتماعي الذى يقوم على الحياة الحضرية يمكن أن يفيد في فهم البناء والتنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع ، حتى لو لم يمكن مجتمعاً حضرياً.

•لكن مازال علم الاجتماع الحضري يفتقد إلى التكامل النظري وربما يرجع ذلك إلى أن ظروف نشأة علم الاجتماع الحضري التي ارتبطت بظروف اتساع نطاق المدن في الولايات المتحدة الأمريكية موطن نشأته الأولى.

•فقد فرضت في أول الأمر وحتى وقت قريب الاهتمام بتقديم المعرفة والوصول إلى صياغات نظرية تسهم في إثراء النظرية العامة لعلم الاجتماع، ولهذا يحمل علم الاجتماع الحضري حتى اليوم طابع الاهتمامات الأولى.

•ولعل هذا هو الذى يفسر تعدد المداخل التي قد تنتمي إليه ، والتي تنتمي في الواقع إلى فروع أخرى من المعرفة

كالجغرافيا والأيكولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وغيرها.

•لذا سوف نوضح خلال هذه المحاضرة مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته الأساسية، ثم ندخل إلى مفهوم التحضر والحضرية باعتبارهما من المفهومات التي يحدث فيها خلطاً كبيراً مستخلصين أهم خصائص الحياة الحضرية وأخيراً نشير إلى ما يتعلق بمستقبل الحياة الحضرية.

<u>أولاً :مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته.</u>

•يعرف علم الاجتماع الحضري Urban Sociology بأنه علم اجتماع حياة المدينة وينظر إلى المدينة ويحللها كظاهرة اجتماعية في ذاتها إلى جانب دراسة المشكلات الخاصة بها، ولقد تطور تراث واضح ومميز لهذا العلم في أوروبا وأمريكا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

•وظهر بين الباحثين الأوربيين ميل إلى تبنى منهج تاريخي ، ولكن مع ذلك فسرت المدينة بطرق مختلفة فبينما يرى" فوستيل دى كولانج "مثلاً في كتابه المدينة العتيقة عام 1864 أن الدين هو السبيل أو النظام الهام والحاسم في المدينة.

•نجد أن" ماكس فيبر "في كتابه المدينة عام 1858 يحاول تحليل طبيعة المدينة وبحث وظائفها السياسية والإدارية

واهتم بشكل خاص بحقوق وواجبات المواطنين وأهمية تمايز المكانة وتباينها.

•هذا في الوقت الذى حاول" السير هنرى مين "أن يحلل المدينة من منطلق اقتصادي بحت فميز بين المدينة الأم والمدن الصغرى المجاورة.

•أما في أمريكا فقد كان الباحثون الأوائل في علم الاجتماع الحضري من المهتمين بمسائل الأخلاق، بينما صاغ الباحثون قضاياهم وأفكارهم داخل إطار أيكولوجي بحت، فلقد ذهب" روبرت بارل "إلى أن المدينة عبارة عن بناء طبيعي له قوانينه التي ترتبط بالنظام الطبيعي والأخلاقي.

•أما" بيرجس "فقد اهتم بظاهرة توسع المدن وأثر ذلك على بنائها الأيكولوجي ، لذا فقد أشار مصطلح علم

الاجتماع الحضري بشكل عام إلى الدراسة السوسيولوجية للمدن أو الحياة في المدينة أو الحياة الحضرية.

•وعلى هذا يعرف علم الاجتماع الحضري بشكل أكثر تحديداً بأنه فرع من فروع علم الاجتماع العام يستخدم

مناهجه وأدواته ومفاهيمه في دراسة الحياة الاجتماعية داخل المجتمع الحضري(الذى يقابله ويرث بالمجتمع الشعبي أو الريفي.)

• والذي يتميز بالجماعات الثانوية وانقسامية الأدوار وتزايد معدلات الحراك(التنقل)الاجتماعي والمجتمع الحضري الذى يتميز بكبر الحجم، وكثافة السكان ، واللاتجانس هو العامل الأساسي الذى نفسر في ضوئه كافة الأشكال الاجتماعية التي تظهر في المدينة.

•وفي سياق هذا المعنى يهتم علم الاجتماع الحضري بالمدينة وما يتخللها من بناءات ودعائم ونظم وتيارات اجتماعية بالدراسة والتحليل كما يقوم بتفسير المظاهر المميزة للتنظيم الاجتماعي في مناطق الإقامة الحضرية في نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقي والمهني ومستوياتها التكنولوجية ومشكلاتها.

•وقد ضيق" روبرت بارك "تعريف علم الاجتماع الحضري وحصره في مقالته الكلاسيكية الشهيرة عن المدينة بأنه

يهتم ببحث السلوك البشري في البيئة الحضرية.

•وفي ضوء ما سبق يتضح أن علم الاجتماع الحضري هو أحد فروع علم الاجتماع العام الذى يطبق مناهجه ونظرياته

ومفاهيمه في دراسة للمدينة وأحوالها والظواهر الاجتماعية المرتبطة بها.

•ومدى تأثير الحياة الحضرية على السلوك الاجتماعي وأهم المشكلات المجتمعية التي تظهر في المدينة وفي إطار هذا يضيف"رايسمان "إلى أن هناك بعض الموضوعات التي لا يمكن دراستها دراسة حقيقية إلا من خلال مجتمع حضري كالطبقات الاجتماعية والبيروقراطية.

•ويمكن أن نعتبر المدن والمراكز الحضرية بمثابة المعمل الذى يصلح لدراسة عدد من ملامح المجتمع، من ذلك مثلاً الهجرة إلى المراكز الحضرية، وهنا لابد أن ندرس نوعية المهاجرين والدوافع وراء هجرتهم، وهل ترجع هذه الهجرة إلى الضغوط التي يتعرضون لها من جراء عوامل معينة كجاذبية المراكز الحضرية مثلاً.

•ومن المهم أيضاً التعرف على الأوضاع الطبقية للمهاجرين ، وما إذا كانت هذه الأوضاع الطبقية تتغير بسبب الهجرة كالتغيرات التي تحدث في الأنماط الأسرية.

•كذلك ضرورة التعرف على العلاقات الاجتماعية بين المهاجر كوافد حديث إلى المدينة وبين غيره من الحضريين المقيمين بالمدينة منذ البداية، كذلك ضرورة الاهتمام بدراسة البناء والتنظيم الاجتماعي على نطاق واسع في كثير من دول العالم.

•وبناء على ذلك يمكن تحديد أهم مجالات علم الاجتماع الحضري على النحو التالي-:

- دراسة المدن والمراكز الحضرية والمناطق المتاخمة لها.
- دراسة البناء الاجتماعي للحياة الحضرية.
- دراسة خصائص الحياة الحضرية سواء من زاوية الوحدة

الاجتماعية الصغرى micro- social أو زاوية الوحدة

الاجتماعية الكبرى. macro-social

- دراسة الأيكولوجية الحضرية بمعنى العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها الطبيعية.
- دراسة المدينة ودورها التاريخي وتطورها وبناؤها.
- دراسة المشكلات الاجتماعية في المدينة.
- دراسة التأثيرات الاجتماعية للحياة الحضرية ودراسة العلاقة بين التحضر والمجتمع والتصنيع.

•وهكذا يتضح أن علم الاجتماع الحضري هو العلم الذى يهتم بدراسة المدينة بوصفها مركز الحضر بدراستها في نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقي والمهني ومستوياتها التكنولوجية والمشكلات التي تعاني منها مثل مشكلات السكان وشئون الأسرة والتموين والمواصلات والخدمات العامة والخاصة والإسكان

وغيرها.

ثانياً :مفهوم التحضرUrbanization

•تشتق كلمة التحضر من الكلمة اللاتينية urbas وهي اصطلاح كان الرومان يستخدمونه للدلالة على المدينة

وبخاصة مدينة روما.

•وقد حددت دائرة المعارف البريطانية مصطلح التحضر باعتبارها العملية التي يتركز خلالها السكان في المدن أو

المناطق الحضرية وتتم هذه العملية بطريقتين متباينتين هما-:

-أ من خلال زيادة المناطق الحضرية.

-ب من خلال زيادة حجم السكان للمقيمين في المناطق

الحضرية.

•وبالتالي فالتحضر هو العملية التي بمقتضاها تحتشد نسبة متزايدة من سكان أحد المجتمعات في المدن ، وهي عملية

قد ترتبط أو لا ترتبط بعملية التصنيعIndustrialization وعلى هذا يعرف" كينجزلى دافيز "التحضر بأنه نمو نسبة السكان الذين يعيشون في المدن في مجتمع معين.

•وبالتالي قد تنمو المدن في الحجم دون حدوث تحضر إذا ما تزايد عدد السكان الريفيين بمعدل أكبر وتلك نقطة هامة، ففي أوروبا كان معدل النمو الحضري السريع راجعاً إلى الهجرة الريفية الحضرية

الضخمة أما في العالم الثالث فالتحضر أكثر بطئا لأن سكان الريف مستمرون في الزيادة السريعة بالرغم من الهجرة إلى المدينة.

•وعلى هذا فالتحضر هو عملية من عمليات التغير الاجتماعي تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها، بمعنى هي عملية إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدن والمراكز الحضرية الأخرى.

•ويطلق على المستوى الذى يميل إليه المجتمع من تحضر درجة التحضر Degree of Urbanizationويقصد

به عادة نسبة السكان الذين يعيشون بمراكز عمرانية يزيد حجمها على عشرين ألف نسمة إلى مجموع سكان الدولة.

•ومن الطبيعي أنه كلما ارتفعت نسبة سكان الحضر زادت درجة التحضر غير أن هناك حالات خاصة ترتفع فيها

أعداد السكان بالمدن خلال فترة معينة إلا أن ذلك لا ينعكس على زيادة في درجة التحضر ويرجع السبب في ذلك إلى أن ارتفاعاً يكون قد أصاب الريف بنفس المعدل.

•ومن هنا كان مؤشر(معدل التحضرRate of Urbanization) دالاً في التعبير عن التغير الذى يصيب درجة التحضر خلال فترة زمنية معينة، ويقاس هذا التغير بنسبة مئوية وكلما ارتفع معدل التحضر على معدل التريف زادت بالتالي درجة التحضر.

•وتوصف عملية التحضر دائما بأنها عملية تراكمية accumulative ويقصد بذلك أن رصيد التحضر لا يظل ثابتاً على ما هو عليه وإنما يتعرض باستمرار لإضافات وزيادات تنجم عن الإقامة الدائمة والاستقرار بنطاق مكاني محدد مع ما يرتبط بذلك من انجازات يحققها الإنسان يوما بعد يوم ويضيفها إلى التراث الحضاري لمجتمعه.

•ولا نعني بالتراكم هنا زيادة سكانية فقط وإنما فوق ذلك هو زيادة موارد وخبرة لدى هؤلاء السكان على استغلالها والإفادة منها.

•وهكذا نلاحظ أن مفهوم التحضر قد ارتبط بمعاني كثيرة ومتعددة منها ما ذهبت إليه" هوب تيسدال "في تعريفها

للحضرية إلى أنها عملية تتضمن حركة للسكان من حالة أو موقف أقل تركيزاً إلى آخر أكثر تركيزاً.

•وبهذا المعني لا توافق تيسدال على تصور الحضرية كعملية لانتشار الخصائص الحضرية خارج حدود المدن وذلك لأن هذا التصور يجعل المدينة على حد تعبيرها سببا للتحضر بدلاً من اعتبارها أي المدينة نتيجة لها كما أن هذا التصور لا يفسر في نظرها نشأة المدن وتطورها.

•وهكذا يمكن تعريف التحضر بشكل أكثر تحديداً بوصفه ضرب من ضروب التغير البنائي الذى لا يقتصر فقط على انتقال السكان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية أو التحول من العمل الزراعي إلى العمل الصناعي، ولكنه يتضمن أيضا تغيرات أساسية تشمل تفكير الناس أو سلوكهم وقيمهم الاجتماعية.

ثالثاً :مفهوم الحضريةUrbanism

•يشير مفهوم الحضرية كما عرفه" مارشال جوردن "إلى أنماط الحياة الاجتماعية التي ترتبط بالسكان المقيمين في المناطق الحضرية والتي تتضمن تقسيم العمل والتخصص الدقيق وانتشار العلاقات الاجتماعية الرسمية والعلاقات القرابية وزيادة الروابط الطوعية والعلمانية وزيادة عملية الصراع الاجتماعي وزيادة الأهمية الاجتماعية لوسائل الاتصال.

•أي أن الحضرية هي اتجاه يتجسد في ظاهرة تشهدها كل المجتمعات البشرية وتعني إقامة الناس واستقرارهم في تجمعات حضرية(قد تأخذ شكل المدن)وتتبلور في التغير النوعي الذى يحدث في أنماط تفكيرهم وسلوكهم تجاه الأنشطة السائدة ونمو التنظيمات القائمة والحضرية.

•وبهذا الشكل تتضمن كل الجوانب الكيفية التي تتصل بالمعيشة في المدينة مع ما يرتبط بذلك من مشكلات حضرية.

•ويعد " لويس ويرث "من أبرز العلماء الذين ناقشوا وفسروا مفهوم الحضرية كطريقة في الحياة يمكن تناولها ميدانيا من خلال ثلاث اتجاهات متشابكة ومتساندة فيما بينها هي-:

١) كبناء فيزيقي يتضمن

أبعاد أيكولوجية وسكانية

وتكنولوجية.

٢)كنسق من التنظيم الاجتماعي يتضمن بناءاً اجتماعياً مميزاً أو مجموعة من النظم ونمطاً محدداً من العلاقات الاجتماعية.

٣) كمجموعة من الاتجاهات والأفكار تشترك في تكوين نمط السلوك الجمعي والذى يخضع لآليات الضبط الاجتماعي السائدة.

•وعلى هذا فالحضرية تشير إلى حالة أو كيفية أو طريقة في الحياة ، ومن المتصور أن تكون خاصية مميزة للمدينة أو المجتمع المحلي الحضري.

•والواقع أن كثيراً من الأفكار استوعبها تراث علم الاجتماع الحضري والتي حاولت أن تلخص خصائص المجتمع الحضري مثل كتابات(جورج زيمل و بيتريم سودوكين و زيمرمان و لويس و برث) تصدق في جانب كبير منها لمحاولة لتحديد خصائص الحضرية كطريقة للحياة فلقد أجمعت كل هذه المحاولات على الخصائص التالية-:

١- تطوير نسق أكثر تعقيدا لتقسيم العمل لكى يعتمد على بناء مهني يتسم بالتباين بحيث يشكل أساساً لنسق التدرج الطبقي الاجتماعي.
٢- ارتفاع معدلات الحراك الاجتماعي والفيزيقي(المكاني.)
٣- الاعتماد الوظيفي والتساند المتبادل بين الأفراد.
٤- انتشار وسيطرة نسق من العلاقات الاجتماعية يتسم بالطابع السطحي وغير الشخصي إلى جانب سيطرة الطابع الانقسامي على الأدوار الاجتماعية.
٥- الاعتماد على الاساليب غير المباشرة للضبط الاجتماعي، ولقد لاحظ بعض الباحثين أن هذه الخصائص ليست قاصرة على المدن فقط وإنما قد يمكن انتشارها أو انتقالها خارج حدود المدن إلى جوانب الريف المجاور ، الأمر الذى أدى إلى تحضر المناطق الريفية ولو بدرجة محدودة.

الخلاصة

•والجدير بالذكر هنا أن الحضرية وإن كانت تحمل في طياتها الإشارة إلى انبثاقها من المدن إلا أنها في الواقع مجرد طريقة في السلوك وحسب، أي سلوك له طريقته الخاصة وسماته الخاصة التي تميزه عن غيره وهي ليست تعبيراً مقصوراً على الحياة في المدن.

•فقد نجد إنساناً متحضراً وسلوكه الكلي حضري بينما يحيا في الريف ونجد آخر يحيا في أكثر أحياء المدن تحضراً وهو مع هذا لا يزال قرويا في تفكيره وطريقة معيشته بل وفي سلوكه ، فالمسألة إذن مسألة سلوك وليست مسألة مظهر.